

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبيه واله الطاهرين

قال تعالى: ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون.

قال المفسرون في سبب نزول هذه الآية إنّ سبعة من فقراء الأنصار جاؤوا الى الرسول ص وطلبوا منه تمكينهم ممّا يمكنهم من الاشتراك في الجهاد، فاعتذر منهم رسول الله ص بعدم وجدانه لذلك، فتولّوا وأعينهم تفيض من الدمع، فنزلت هذه الآية بشأنهم، وعُرفوا بعد ذلك باسم البكّائين.

وقد ورد البكاء في القرآن الكريم في موارد عديدة، منها قوله تعالى: أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجّداً وبُكياً.

وقال تعالى: قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يُتلى عليهم يخرون للأذقان سجّداً* ويقولون سبحان ربّنا إن كان وعد ربّنا لمفعولاً* ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً.

والبكاء هو الاثر الخارجي الدال على امر باطني هو الحزن، فعادة يتفق مع الحزن البكاء وان لم يكن دائماً، واذا راجعنا الاسلام لنطرق بابَه ونقف على اعتبار احاديث العترة الطاهرة لنعرف الراي الالهي بالحزن والبكاء فاننا سنجد نوعين من البكاء وقعا محل مدح بالاضافة الى البكاء على سيد الشهداء ومصائب العترة الطاهر عموماً:

اولا: البكاء والحزن على ما فات من الذنوب والاثام، وهنا الحزن والبكاء في محل طلب التوبة، بل يكونان من متممات التوبة ومكملات شروط صحتها كما في حديث التوبة الوارد عن الامام امير المؤمنين عليه السلام، ففيما قال: والخامس إن تعدد إلى اللحم الذي ينبت على السحت فتذيبه بالإحزان حتى تلتصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد.

ثانيا: البكاء والحزن على الامر العبادي الممتنع، اي المتعسر حصوله، كبكاء الاعرج على عدم مقدرته على الجهاد في سبيل الله، وبكاء الفقير على عدم استطاعته المساعد في بناء دور العبادة من المساجد والمدارس الاسلامية، ويمكن ايضا عد البكاء على سيد الشهداء عليه السلام من هذا القسم، اذ لاريب ان المؤمن يتمنى على الله تعالى ان يفدي ابن بنت رسول الله بدمه ونفسه وحاله يقول: نفسي لنفسك الفداء، وروحي دونك الوقا يا قتيل العدا يا مولاي يا ابا عبد الله.

وفي خطبة المتقين او كما تُسمى بخطبة همام عندما طلب من امير المؤمنين ان يصف له المتقين فقال ع فيما قال: قلوبهم محزونة، وشروهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة. تجارة مربحة يسرها لهم ربهم. أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها. أمّا الليل فصافون أقدامهم، تالين لاجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم.

وينبغي الالتفات الى تعبير الامام ع في قوله قلوبهم محزونة، وهي اشارة الى ان المؤمن وجهه مستبشر حتى لو كان الحزن يملأ قلبه، ففي حديث اخر يقول: المؤمن بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدراً، وأذلّ

شيء نفساً، يكره الرفعة، ويشنأ السُّمعة، طويل غمّه، بعيد همّه، كثير صمته، مشغول وقته، شكور، صبور، مغمور بفكرته، ضنين بخلته، سهل الخليقة، لين العريكة، نفسه أصلب من الصلد، وهو أدلّ من العبد.

وهذه الاحاديث كلها تثبت كون الحزن والبكاء من صفات المسلمين المؤمنين، بل من صفات المتقين العاشقين لله تعالى فقد قال الامام الصادق عليه السلام : إن أبي كان يقول : إن أقرب ما يكون العبد من الرب عزّ وجل وهو ساجد باكٍ.

فالعاشق يشناق لمعشوقه، والعاشق يحزن اذا تضايق معشوقه، والعاشق يبكي على تفريطه بحقوق معشوقه، ولكون البكاء صفة العاشق والمعشوق فقد خصه الله بعظيم الثواب وجزيل العطاء ففيما يروى عن الامام الصادق عليه السلام: ما من شيء إلا وله كيل ووزن، إلا الدموع؛ فإنّ القطرة تُطفي بحاراً من نار، فإذا اغرورقت العين بمائها لم يرهق وجهه قطر ولا ذلّة، فإذا فاضت حرّمها الله على النار، ولو أن باكياً بكى في أمة لرحموا. وعنه عليه السلام: إن الرجل ليكون بينه وبين الجنة أكثر ممّا بين الثرى إلى العرش؛ لكثرة ذنوبه، فما هو إلا أن يبكي من خشية الله . عزّ وجلّ . ندماً عليها حتى يصير بينه وبينها أقرب من جفنه إلى مقلته.

وقد تستغرب من ثواب عظيم كهذا ممّا يوصف بأثّه لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كيف رُتّب على مجرد قطرة من الدمع؟! ولكن يزول هذا الاستغراب إذا التفتنا إلى أمرين :

الأوّل . ما يكشف عنه البكاء، إن البكاء يكشف عن التحوّل العظيم في نفس الباكي، والتفاعل الكامل مع الله سبحانه وتعالى ومع أوامره ونواهيه،

وتجلّي عظمته تعالى في قلبه وخشوعه له، ومن هنا يكون البكاء . أيضاً .
كاشفاً عن مستوى عال من الندم على المعاصي. وفي الحديث كفى بالندم
توبة، ولكن البكاء من دون ندم هو كذب وخدعة من اساليب النفس الامارة
بالسوء لتخدع صاحبها، كما روي عن زين العابدين عليه السلام انه قال:
وليس الخوف من بكى وجرت دموعه ما لم يكن له ورع يحجزه عن معاصي
الله ، وإنما ذلك خوف كاذب.

والثاني . ما يترتب على البكاء من الاقتراب العاطفي الكبير من الله جلّت
عظمته، وخرق حُجُب النفس ممّا يؤدّي إلى تركّز التفاعل مع الله في النفس
أكثر من ذي قبل؛ ولذا ينبغي للباكي أن يغتنم فرصة تلك الحالة الذهبية التي
حصلت له في تهذيب نفسه وتزكيتها؛ فإنّ هذه الفرصة لا تحصل في أيّ وقت
شاء الشخص، يغتنمها بان يأخذ العهود والمواثيق على نفسه بطاعة الله
تعالى، ويغتنمها بالدعاء لله تعالى بان يغفر ما سبق ويسدد لما اتى وكما في
الرواية عن امير المؤمنين عليه السلام : بكاء العيون وخشية القلوب من رحمة
الله تعالى ذكره ، فإذا وجدتموها فاغتنموا الدعاء ، ولو أن عبداً بكى في أمة
لرحم الله تعالى ذكره تلك الأمة لبكاء ذلك العبد

هذا واذا رأى العبد نفسه بكاءً وفي قلبه الحزن راقداً شوقاً لله فليعلم ان الله
يحبّه بدليل ما ورد عن النبي صلوات الله تعالى عليه انه قال: إذا أحب الله
عبداً نصب في قلبه نائحةً من الحزن ، فإن الله لا يدخل النار من بكى من
خشية الله حتى يعود اللبن إلى الضرع.

وكما ان البكاء دليل الحب فان جمود العين دليل الشقاوة والانحراف عن
خط العبادة واللهو عن احوال الآخرة والابتعاد عن مصيبات القبر وعدم

الالتفات لعذاب الله وجحيمه، وفي وصية رسول الله ص لعلي ع : يا علي ،
أربع خصال من الشقاء : جمود العين ، وقساوة القلب ، وبُعد الأمل ، وحب
البقاء.

بل ان جمود العين محل للاستعاذة بالله منها كما في الدعاء: ومن عمل لا
ينفع ومن عين لا تدمع ومن قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع ... الخ
الدعاء

ونختم كلامنا بما ختم امير المؤمنين عليه السلام دعاءه المعروف بدعاء
كميل: يا من اسمه دواء وذكره شفاء وطاعته غنى إرحم من رأس ماله الرجاء
وسلاحه البكاء يا سابغ النعم يا دافع النقم يا نور المستوحشين في الظلم. يا
عالما ما لا يعلم افعل بي ماأنت اهله بحق محمد وال محمد.

والسلام عليكم والرحمة

الشيخ محمد البهادلي

iraqi_alsalam@hotmail.com